البعد الوحدوي في خطابات ونشاطات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

The unitary dimension in the speeches and activities of the Association of Algerian Muslim Scholars

جغيبل بلقاسم[1]

[1] جامعة محمد خيضر بسكرة؛ Belkacem1976bg@gmail.com

مشراوي جمال الدين [2]

[2] مخبر الدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، جامعة بن خلدون تيارت

djameleddine.mechraoui@univ-tiaret.dz

تاريخ الاستلام: 2022/11/ 18 **تاريخ القبول:** 2022/12/ 19 **تاريخ النشر:** 2023/01/ 20

ملخص:

تعرض هذه الورقة العلمية قضية الوحدة والتكاتف الذي سعى رجال جمعية العلماء لتحقيقه وتجسيده على أرض الواقع علما منهم أن إصلاح المجتمع الجزائري وترسيخ مبدأ (الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا) لا يكون إلا بعملية الاتحاد ونبذ الفرقة، وكذلك مجابهة فرنسا التي تستهدف من خلال قراراتها تفريق الشعب، ولذلك نجد رواد الإصلاح يسارعون للمناداة عبر خطبهم ونشاطاتهم للاتحاد، وقد مسّ هذا الخطاب كل المجالات؛ سياسيا وثقافيا ودينيا واجتماعيا.

الكلمات الدالة: الحركة الإصلاحية الجزائرية، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الوحدة.

Abstract:

This article presents the issue of unity and togetherness, which the Association of Scholars and Reformists sought to achieve and reflect on the ground. They are aware that the reform of Algerian society and the achievement of the goals are only the process of uniting and renouncing the divide, as well as the confrontation of France, which through its resolutions aims to disperse the

people .Therefore, the pioneers of reform sought to appeal through their speeches and activities to the Federation, which was in all areas political, cultural, religious and social.

Keywords: Algerian Reform Movement, Muslim Scholars' Association, Unity

مقدمة:

لا شك بأن الحركة الإصلاحية بالجزائر تركزت نشاطاتها على البعد الديني والثقافي من محاربة للبدع ونشر التعليم والوعظ والإرشاد وعموما السعي لإصلاح المجتمع الجزائري، فكانت هذه هي الغاية الواضحة والهدف المسطر، ولكن الوصول لهذا الهدف البعيد يستلزم جملة من الوسائل ويمكن القول أنها أهداف أولوية ومن جملتها قضية الاتحاد.

إن قضية الوحدة هي على قدر من الأهمية، كيف لا تكون وقد سعت الدراسات الاستعمارية الأنثروبولوجية والتاريخية والمشاريع والقوانين التي أصدرتها الإدارة الفرنسية لتكريس نظرية فرق تسد، من أجل ذلك عملت الحركة الإصلاحية الجزائرية على مجابهة هذه السياسة وتركز في خطاباتها ومقالاتها وأنشطتها المختلفة على قضية التكاتف، لذلك سنحاول في هذا العمل استنباط البعد الوحدوي في خطاب علماء الإصلاح وعرض مختلف الأنشطة التي تعكس مساعيها الوحدوية.

عملنا في هذه الورقة البحثية على التطرق إلى الإشكالية التالية: إذا علمنا أن الاستعمار ككل بداية من التنظير عبر الدراسات الاستعمارية التي كرسها الأنثروبولوجيون، إلى التطبيق من خلال المراسيم والقوانين التي جسدها،إذا علمنا أن كل ذلك جاء ليحاول تفتيت المجتمع الجزائري، ولبننته بالمصطلح المعاصر، نقول: كيف تجسدت المواقف الإصلاحية في ردها على مساعي التفريق تلك؟

حاولنا الإجابة على هذا الطرح للوصول إلى عمليات الوحدة والتعاون التي طرحها رجال الإصلاح قولا وفعلا متبعين في ذلك المنهج الاستقرائي من خلال الوقوف على المعطيات التاريخية واستقرائها للوصول إلى فكرة ونتيجة تصب في موضوعنا هذا.

1. الفكر الوحدوي عند علماء الإصلاح

إن فكر الوحدة ولمّ الشّمل وترصيص الصفوف يمكن اعتباره الغاية والوسيلة في الآن نفسه عند علماء الجمعية، ولم تكن لتظهر لنا هذه الهيئة الإدارية ببعدها التنظيمي–جمعية العلماء أقصد– لولا توحد رجالها تحت راية الإصلاح وباسم جمعية منظمة مشتركة الأهداف، وإنما ذلك يدل على اقتناعهم بالوحدة وضرورة تطبيقها لتحقيق المآل، فقد كانت جمعية العلماء تضم في صفوفها كل من له رغبة في تغير الوضع الجزائري من أساتذة وشيوخ وفقهاء وطلبة وصحفيين وإداريين وغيرهم، من هنا بدأ فكر الوحدة يتجسد على أرض الواقع عند علماء الإصلاح مباشرة بعد احتفالات 1930، ليترسخ في جمعية إصلاحية، يقول الأستاذ الحبيب بن الحاج محمد في مقال له تحت عنوان "**الاتحاد**"، بجريدة البصائر : " لم يجد رجال الإصلاح في الجانب الاجتماعي أكثر من الاتحاد والائتلاف، وترك الزيغ والهوى وجمع الكلمة في الإخلاص والاستقامة تحت راية الحق سببا للسعادة والقوة واطمئنان الحياة بالجماعات والأمم، وإن بناء أمة مهيبة الوجود منيعة الجانب كل ذلك رهن باجتماع شملها وائتلاف أبنائها واتحاد كلماتها"[1].

وكثيرا ما نادى الإصلاحيون عبر نشراتهم إلى ضرورة نبذ الفرقة والاتحاد من أجل التعاون ومن ذاك ما جاء في جريدة البصائر تحت عنوان:"**سعادة الأمة في تعاون الأفراد وتوحيد الجهود**" للأستاذ محبوب محمد بلقاسم يقول: "... مسألة التعاون ككل المسائل التي فازت بها أمم الغرب وأهملها المسلمون، وكان الأولى أن نكون أكثر منهم اعتناء بالمسائل الدنيوية أو على الأقل مثلهم سيما فيما يتعلق بمسألة التعاون" [2]، وكان الإبراهيمي – خاصة في فترة توليه رئاسة الجمعية– لا يخرج من بلدة أو مدينة حتى يصلح ما فيها من خصومات، وكان يقول: "إن اتحاد هذه الجماعات ضمان لبقاء المشاريع...وإن القضية الجزائرية لا تنجح إلا بالاتحاد"[3]

2. مجابهة السياسة البربرية

منذ أوائل الأربعينيات من القرن 19 اكتشف الفرنسيون سلاحا آخر في الجزائر وهو سلاح الإثنية العرقية حيث اكتشفوا عنصرا بربريا يختلف عن الجنس العربي، وبنيت على ذلك

نظريات وأُلّفت كتبا وأجريت بحوثا انتهت في الأخير إلى اعتبار البربر جنس آري (أو الهند أوروبي) ولا علاقة له الجنس السامي، ووضعت هذه الدراسات الأنثروبولوجية للبربر خصائص ومميزات تجعلهم أقرب إلى المسيحية وإلى الفرنسيين في العرق والسلوك والنظام الاجتماعي، كما اهتمت هذه الكتابات في اعتبار البربر السكان الأصليين وإنهم كانوا متعاونين مع الرومان وكانوا على المسيحية ويفضلون العمل بالعرف بدل الشرعة الإسلامي ولهم نظام خاص يشبه النظام الأوروبي.[4]

والحقيقة أن معظم هذه الدراسات الأنثروبولوجية والكتابات التاريخية كانت ذات إيديولوجية استعمارية، لخدمة الاستعمار الفرنسي واستهدفت بشكل مباشر الدين واللغة والهوية لتحقق مبدأ فرق تسد واللعب على وتر الإثنيات العرقية خصوصا الجنسين العربي والبربري ومن خلال التفريق بين العرب والبربر عبر المراسيم والقوانين وكل الإجراءات التي تجسدت تحت اسم السياسة البربرية تتمكن فرنسا من بسط نفوذها وإرضاخ الجزائريين كليا دونما الحاجة لاستعمال القوة العسكرية.

وقد تفطن الإصلاحيون لخطورة هذه السياسة فركزت خطبهم ومحاضراتهم ومقالتهم الصحفية على ضرورة مجابهة هذه السياسة، نظرا لارتباط الإصلحيون بالدفاع عن الهوية والدين والثقافة العربية، ووقفت جمعية العلماء موقفا ثابتة مؤكدة أن الأمازيغ والعرب انحدروا من أصل واحد وأن الإسلام مزج بينهم في بوتقة واحدة خلال قرون، فهم شعب واحد يشترك في الدين واللغة والتاريخ والعلم وكثير ما كتب الشيخ ابن باديس عبر الشهاب عن الأمة الجزائرية التي تعود جذورها إلى الأصل الأمازيغي وإنها لما جاء العرب برسالة الإسلام نزع الفوارق بين العرب والبربر وتمكن من توحيد الأمة الجزائرية يقول في إحدى الخطب التي ألقاها بنادي الجمعية :" إن أبناء يعرب ومازيغ قد جمع بينهم الإسلام منذ بضع عشرة قرنا ثم ذهبت تلك القرون تمزج بينهم في الشدة والرخاء و تؤلف بينهم في العسر واليسر وتوحدهم في السراء والضراء حتى كونت منهم منذ أحقاب بعيده عنصرا مسلما جزائريا أمه الجزائر وأبوه الإسلام" ويستطرد قائلا: "فأي قوة بعد هذا يقول عاقل تستطيع أن تفرقهم؟ لولا الظنون الكواذب

والأماني الخوادع يا عجبا لم يفترقوا وهم الأقوياء، فكيف يفترقون وغيرهم القوي كلا والله، بل لا تزيد كل محاولة للتفريق بينهم إلا شدة في اتحادهم وقوة لرابطتهم"[5]، ومما جاء في أحد مقالاته بالشهاب: " دخل الأمازيغ في الإسلام وتعلموا لغة الإسلام العربية...فامتزجوا بالعرب واتحدوا في العقيدة كما اتحدوا في الأدب واللغة فأصبحوا شعبا واحدا عربيا متحدا غاية الاتحاد ،...وليس تكون الأمة بمتوقف على اتحاد دمها ولكنها متوقف على اتحاد قلوبها وأرواحها وعقولها" [6].

و في إطار الرد على النظريات الاستعمارية استنكر العلماء فكرة الاستعمار العربي وأن العرب جاءوا مستعمرين لا ناشرين للإسلام ونددوا بالمحاولات التي قامت بها الإدارة الفرنسية لإضعاف العربية في أوساط الأمازيغ كإنشاء قناة إذاعية خاصة باللهجة القبائلية في الإذاعة الجزائرية، ويتجسد هذا الاستنكار في مقال للشيخ الإبراهيمي بجريدة البصائر بعنوان "**موجه جديدة**"[7].وأوردت البصائر مقالا بتوقيع أبو حميدة أشار إلى مساعي فرنسا لإحياء ما سمي بالأسطورة البربرية وأكد أن البربرية إنما هي فرع من العربية يقول "...ولن تستطيع إي قوه مهما بلغت في الدهاء والمكر والغدر أن تفرق قوما جمعتهم اليد الإلهية".[8]

وفي موقفها المقاوم لسياسة التفريق بين الأمازيغ والعرب ركزت الحركة الإصلاحية على التعليم ونشره بكل ربوع الوطن، فقاومت الإدارة الاستعمارية دخول الإصلاح لزواوة بمختلف الوسائل لكن الزواويون احتضنوا الإصلاح بعقيدة راسخة حتى نافست المدارس الإسلامية العربية عندهم مدارس الآباء البيض والمدارس الحكومية الرسمية ودخل علماء زواوة في المجلس الإداري في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودافعوا عن العروبة و الإسلام بكل حمية.[9] ويعتبر بن باديس الصنهاجي النسب خير دليل على ذلك وهو الذي دافع عن العروبة والهوية الاسلامية.

3. مساعي الوحدة عند علماء الإصلاح داخل الحركة الوطنية الجزائري:

1.3. المؤتمر الإسلامي:

اختلفت الآراء السياسية في الجزائر مع اختلاف فكر أصحابها حيث ظهرت عدة توجهات، وفي ظل هذه الفروقات الفكرية رأى بن باديس ضرورة توحيدها والسعي لجعل برنامج واحد لها وبهذا الشكل تتعزز الحركة الوطنية ويقوى صوتها، ولتحقيق هذا الغرض دعا الشيخ بن باديس أعضاء المكتب الدائم لجمعية العلماء المسلمين إلى اجتماع طارئ أواخر سنة 1935، اقترح عليهم بن باديس فكرة تنظيم مؤتمر جامع لمختلف التنظيمات السياسية فاستحسن رجال الإصلاح الفكرة ووافقوا عليها بالإجماع[10].

بعد أن أخذ بن باديس موافقة رفقاءه دعا كل الهيئات السياسية والتنظيمات والأحزاب إلى عقد هذا المؤتمر الذي أصطلح عليه **المؤتمر الإسلامي الجزائري**، فكانت الدعوة عبر صفحات جريدة **الدفاع "la défense"** التي كان يصدرها الأمين العمودي بالفرنسية[11]. فاجتمع ممثلي الأحزاب في اليوم الذي سبق المؤتمر أي في 06 جوان 1936، تمهيدا للمؤتمر وقد حضر في هذه الليلة العلماء والنواب والشبان، وحضر ممثلي الأحزاب من العمالات الثلاث كلهم تحت سقف جمعية العلماء بنادي الترقي بالعاصمة[12].

عقد المؤتمر في اليوم الموالي الموافق لـ 17 ربيع الأول 07/1355 جوان 1936، بقاعة الماجستيك في العاصمة وفيه اجتمع المصلحون والطرقيون وعلماء الدين ورجال السياسة والشيوخ والشبان والتجار والفلاحون والعمال وكما قال الإبراهيمي " والنقطة التي يلتقي عندها الكل هي الإسلام والجزائرية".ترأس المؤتمر الدكتور بن جلول نائب قسنطينة المالي ورئيس جمعية نوابها[13] شارك المؤتمرون آراءهم ومطالبهم، ثم جاء الدور على بن باديس ليقوم ويلقي خطبة مؤثرة نوه فيها لقيمة هذا المؤتمر وخلص إلى مطالب الجمعية الخاصة بالدين، واللغة العربية، ففي الجانب الديني طالبت الجمعية بتسليم المساجد للمسلمين وتعيين مقدار مالي لها وتتولى أمرها جمعيات دينية، وأن تؤسس كلية لعلوم الدين باللغة عربي، وأن ينظم القضاء بوضع مجلة أحكام شرعية على يد هيئة إسلامية، أما في جانب اللغة العربية فطالبوا أن تكون لغة رسمية مثلها مثل الفرنسية.[14]

انتهى المؤتمر وعُلِّقت عليه آمال كبيرة وتم إرسال وفد لحكومة الجبهة الشعبية بباريس لرفع مطالب هذا المؤتمر كان ضمن الوفد شيوخ العمالات الثلاث بن باديس والإبراهيمي والطيب العقبي، والشيخ العمودي كذلك[15]، ورغم أن مطالب المؤتمر ستبقى مجرد حبر على ورق، إلاّ أن مساعي الوحدة تحققت فيه وقد كانت خطوة مهمة في تاريخ الحركة الوطنية لتوحيد النضال ومجابهة سياسة التفرقة التي تكرسها الإدارة الفرنسية، يقول الشيخ الإبراهيمي:" من الحقائق المسلمة أن المؤتمر الإسلامي الجزائري أصبح عنوانا لإتحاد الأمة الجزائرية وقوتها...كانت أول خطوة تمثلت فيه الأمة بجميع عناصرها راجعة إلى عنصر واحد هو عنصر الإسلام والجزائرية"[16].

2.3. موقف الجمعية من بيان فيفري1943ومشاركتها في حركة أحباب البيان1944

في ظل تجاهل الفرنسيين للقضايا الجزائرية وتدهور الحالتين الاجتماعية والاقتصادية للجزائريين، وكذا تأثير الدعاية المضادة التي كثفتها دول المحور في شمال إفريقيا استلزم الأمر تقديم مطالب تعبر عن الواقع الجزائري، فأدرك فرحات عباس ضرورة التحرك وتوحيد الجهود مع الأطراف السياسية الأخرى[17] فنظم المنتخبون اجتماعا في مكتب المحامي أحمد بومنجل بالجزائر العاصمة حضره عدد من المنتخبين وعناصر من حزب الشعب، وجمعية العلماء المسلمين[18] والتي مثلها كل من الشيخ العربي التبسي، والشيخ خير الدين، وأحمد توفيق المدني[19]، وكذلك رأت الجمعية أن هذا البيان يتضمن مطالب جريئة و يتجاوب مع عريضتهم المقدمة إلى الحاكم العام في 19سبتمبر 1941 والخاصة بحرية الوعظ في المساجد،وتعليم اللغة العربية مع إلغاء جميع المراسيم الجائرة كمرسوم 8 مارس1938 [20].

واعتبر فرحات عباس هذا البيان حصيلة 112سنة من الاحتلال استقرأ فيه تاريخ الاستعمار وعبر فيه عن مطامح الشعب الجزائري[21]، وبغض النظر عن البعد المطلبي والسياسي لهذا البيان فإننا نركز على قضية الوحدة إذ يعتبر أيضا نشاط يعكس تكاتف الجهود ودعم رواد الإصلاح لمختلف عمليات النشاط المشترك مع الزعماء السياسيين، وتحقيقا لذلك واصل

العلماء دعمهم لمطالب فيفري 1943 فساهموا في تأسيس حركة أحباب البيان والترويج لها والدعوة للانضمام لفروعها وشعبها.

أثار مرسوم مارس1944 الذي أصدره ديغول غضب الشعب الجزائري والفئات السياسية كما هو الحال مع الشيخ الإبراهيمي الذي اعتبره مرسوم خطير يقود إلى الإدماج، ورأوا فيه تهربا لمطالب "**بيان فيفري**" وخطوة لذر الرماد على الأعين، وكرد فعل على هذا المنشور نشأت "**حركة أحباب البيان**" في14مارس1944بسطيف بعد عدة نشاطات مكثفة قام بها فرحات عباس مع مصالي الحاج، والبشير الإبراهيمي[22] فأنشئوا هذه الحركة للدفاع عن بيان فيفري 1943، ولحرية القول وطالبوا بجمهورية مستقلة يجمعها نظام فدرالي مع جمهورية فرنسا[23] وقد اعترف فرحات عباس أنه وبعد ما حدد القوانين الأساسية لهذه الحركة اتصل بمختلف التنظيمات ولم تتأخر جمعية العلماء عن الانخراط فيها ولكنها أيضا حافظت على مبادئها ومطالبها في مجال التعليم والمساجد والقضاء في صفوف هذه الحركة[24].

3.3. نشاط رواد الإصلاح في الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها:

ومن منطلق توحيد الجهود مع الأحزاب الأخرى انضمت جمعية العلماء المسلمين لـ "**الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها**"والتي ظهرت بوادرها في اجتماع 25 جويلية 1951وهو اجتماع اللجنة التأسيسية للحركة المذكورة، حضره الشيخين خير الدين والعربي التبسي ودعت جريدة البصائر بعد هذا الاجتماع الشخصيات والحركات للانضمام للجبهة التي طالبت بإلغاء الانتخابات التشريعية المزورة في 17جوان1951، ومحاربة القمع الاستعماري والمطالبة بحرية الفكر والصحافة وغيرها.[25]

تأسست الجبهة عقب اجتماع اللجنة التأسيسية في 5أوت 1951 بالعاصمة تمخض عنه تشكيل مجلس إداري ضم 30 عضو من مختلف التنظيمات السياسية، وتشكل المكتب الدائم للجبهة من عشرة أعضاء من بينهم الشيخ العربي التبسي والشيخ محمد خير الدين والأستاذ أحمد توفيق المدني[26].

تحركت الشخصيات المؤسسة للجبهة في إنشاء فروع لهذه الجبهة بمختلف المناطق والانضمام في مكاتبها الإدارية، ومن بين رواد الإصلاح ترأس الشيخ السعيد الزموشي لجنة وهران التي اتخذت نادي السعادة مقرا لها وتم تعيين حماني موسى أمين خزينة هذه اللجنة وهو من أعضاء جمعية العلماء أيضا، كما مثل العلماء في لجنة السيق التابعة لمعسكر كل من الشيخ السعيد والشيخ حضري مصطفى التي تأسست بـ11ديسمبر1951 وترأس حاج طاهر عبد المومن لجنة معسكر، وكان مساعد الأمين العام السيد نجادي محمد، والسيد محمد ملياني كعضو باللجنة[27].

4. اهتمام علماء الجمعية بقضايا المغرب العربي

إن تفاعل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مع القضايا المغاربية يعكس البعد الوحدوي المغاربي والكفاح المشترك ضد الاستعمار الفرنسي الغاشم، وكثيرا ما عبرت البصائر لسان حال الجمعية عن مختلف القضايا السياسية والاجتماعية للقطر المغاربي كما ستبينه بعض المقالات لاحقا، وخصصت مجلة الشهاب ركنا خاصا بالقضايا المغاربية سمته بـ" **في الشمال الإفريقي**"، وقد أسست لفكرة المغرب العربي عدة عناصر في وعي أبناء شمال إفريقيا أهمها فكرة "**الأمة**" التي تشكل الجانب السياسي والاجتماعي لعقيدة التوحيد التي جاء بها الإسلام[28] وكثيرا ما عبر بها علماء الجمعية في مقالاتهم وكأن قضية الاستعمار ومجابهته ليست قضية شعب واحد داخل حدود سياسية واحدة، بل قضية الشعوب الإسلامية كلها .

إن عملية الكفاح الالمغاربي المشترك لم تكن وليدة علماء الإصلاح إذ يعتبر السيد علي باش حمبة أول زعيم فكر في توحيد الكفاح المغاربي من خلال مساعداته للمقاومين الجزائريين، وأسس أخوه محمد في برلين اللجنة التونسية الجزائرية وكان على اتصال برجال الحركة الوطنية بالمغرب[29]، ثم بدأت الفكرة تتعزز أكثر، وبالرجوع لجمعية العلماء ترسخت قضية الوحدة في أذهان رجالها ففي المؤتمر الخامس لطلبة شمال إفريقيا[30] الذي عقد بتلمسان سنة 1935 تحت رعاية الشيخ البشير الإبراهيمي الذي تولى إيواء جلسات المؤتمر بنادي السعادة الذي يعمل بتوجيهات منه،وهذا بعد العراقيل التي تعرض لها المؤتمر ورفضت الإدارة عقده بقاعة

البلدية، وقد شارك كذلك نخبة من أعضاء الجمعية فيه من أمثال الشيخ سعيد الزموشي والشيخ الهادي السنوسي وغيرهم[31].

انتهى المؤتمر بعدة توصيات تدل بشكل واضح تأثير جمعية العلماء فيها منها: ترسيم العربية وإجباريتها بالمدارس، إعداد المعلمين بالجزائر إعدادا عربيا تعليم المرأة ووضع برنامج تربية على مستوى المغرب العربي..الخ[32] تهدف في عمومها إلى إيقاظ الوعي الوطني بالوحدة الوطنية في شمال إفريقيا[33].

ومن أبرز القضايا التي أسالت الحبر الكثير في صحف جمعية العلماء المسلمين فيما يخص الشأن التونسي والمغربي هي قضيتي منصف باي الذي تقلص حكمة لصالح وزارة الكعاك، وقضية عزل محمد الخامس وتنصيب بن عرفة على العرش وكل هذا بتدخل من الإدارة الفرنسية، أما القضية الأولى فقد رفض الإبراهيمي هذه الحكومة واعتبرها فرنسية لحما ودما يقول: "ونحن نعلم أنّها فرضت فرضا على سمو الباي... إننا لنخرج من هذه التجربة القاسية بثلاث نتائج، أولا أن فرنسا ما تزال على عمايتها القديمة،...وأن الأمة التونسية الشقيقة تثبت في ميدان الكفاح الاستقلالي، ثالثا استحالة حل المشكل التونسي بواسطة مفاهمة بين الجانبين...فتدخل منظمة الأمم المتحدة أصبح ضربة لازمة"[34]

وقد احتج رجال الإصلاح على السياسة الفرنسية بتونس، حيث أوردت البصائر مقالا في عمود "منبر السياسة العالمية" جاء فيه: كان من المنتظر أن تتطور أزمة المملكة التونسية هذا التطور في إزهاق الأرواح وإهدار الدماء ذلك أننا نعلم ما هو الاستعمار الفرنسي ....أساليبه في كل مكان لا تتبدل ولا تتغير: الزجر والبطش والقتل والسجن والإرهاب والإزهاق" [35]، و إثر تأسيس جمعية العلماء المسلمين لجبهة الدفاع عن الحرية واحترامها مع مختلف الهيئات السياسية في البلاد في فيفري 1952 عقدت الجبهة اجتماعا سمي بيوم التضامن مع تونس، ترأس الاجتماع الأستاذ أحمد توفيق المدني الكاتب العام لجمعية العلماء المسلمين و جبهة الدفاع عن الحرية واحترامها، و ابتدأ الكلمة فتحدث عن القضية التونسية وتضحيات شعبها رجالا ونساء ومكائد الاستعمار، ونادى إلى توحيد الكفاح في

أقطار الشمال الإفريقي، وخطب كذلك شخصيات أخرى ممثلين عن أحزابهم ثم تولى اللكمة الشيخ مصباح الحويذق ممثلا عن جمعية العلماء المسلمين فأصبغ الاجتماع بصبغة دينية و تحدث وحدة الشعور الإسلامي الذي يجعل المسلمين كالجسد الواحد وتحدث عن فضل تونس على الشعوب الإسلامية من خلال علومها وإنتاجاتها الفكرية وطالب هو الآخر بوجوب العمل المشترك وتوحيد النضال إلى جانب تونس[36].

أصدرت الجبهة المذكورة آنفا بلاغا نشر على جريدة البصائر وأرسلت نسخ إلى رئيس المجلس الوطني الفرنسي ورئيس الوزارة الفرنسية والوزير الفرنسي للشؤون الخارجية نددت من خلاله بالسياسة الفرنسية بتونس والتجاوزات التي تقوم بها في حق الشعب كما طالبوا بإطلاق سراح المعتقلين وتؤكد تضامنها المطلق مع الشعب التونسي، وأمضى على هذا البيان ممثلي الأحزاب وعن جمعية العلماء الشيخ العربي التبسي، وقامت الجبهة بصياغة برقية أخرى أرسلتها لجمعية الأمم المتحدة ومجلس الأمن للتدخل ووضع حد للأحداث الدامية وحركات القمع التي تشنها فرنسا بتونس.[37]

أما في الشأن المغربي وإثر صدور الظهير البربري 16 ماي 1930 الذي سعى لتفريق الأمة المغربية من خلال إحلال الأعراف الأمازيغية محل التشريعات الإسلامية في المناطق الأمازيغية ومحاولة مزج البربر بالعنصر الأوروبي، عارضت الحركة الوطنية المغربية هذا الظهير وندد به الشعب وعارضته الفئات الجماهرية كذلك وقد كان الصوت عاليا ضده في شمال إفريقيا كلها، فنجد بن باديس كان دائما يحيي ذكرى 16 ماي ويشارك المغاربة في شعورهم ناصحا بمواصلة الجهاد "وإننا لنشارك قلبا وقالبا شقيقتنا المغرب في هذا الحداد الوطني ونرفع أصواتنا إلى جانبكم" وتعجب الإبراهيمي من الذين يريدون أن يجعلوا البربر فرنسيين ولا توجد بينهم وبين فرنسا أواصر دينيه أو عرقيه أو تاريخيه.[38] وجاء في الشهاب مقال حول الأحداث بالمغرب فأشار صاحبه إلى دور الظهير البربري في تطور الحركة الوطنية وظهور كتلة العمل الوطني "فتلك السياسة البربرية الخرقاء التي سلكتها حكومة فرنسا بالمغرب الأقصى رائمة من ورائها اجتثاث شجرة الإسلام التي ثبت أصلها بتلك البلاد وامتدت فروعها للسماء، وهي التي أسفرت عن النهضة الوطنية بالمغرب "[39]

فمن القضايا التي نالت اهتمام جمعية العلماء هي قضية خلع السلطان المغربي محمد بن يوسف (الخامس)، إذ وجهت الجمعية برقيتان الأولى كانت احتجاجا لرئيس الحكومة الفرنسية بقلم الأستاذ أحمد توفيق المدني مما جاء فيها:" مسيو جوزاف لانيال رئيس حكومة فرنسا، جمعية العلماء المسلمين ترفع باسم مسلمي القطر الجزائري الاحتجاج الصارف العنيف ضد عملية خلع جلالة سيدي محمد بن يوسف الغير شرعية"، أما البرقية الثانية فأرسلها مكتب الجمعية إلى السلطان محمد الخامس بجزيرة كوريسكا تعبر عن مشاعر التضامن والولاء ومما جاء فيها:" إن جمعية العلماء تستنكر في منتهى الشدة والغضب ذلك الاعتداء الشنيع الذي دبرته ضد شخصكم السامي عصابة مؤلفة من الاستعماريين وقطاع الطرق ...ونؤكد في هذه المناسبة المؤلمة تضامن المسلمين الجزائريين مع الشعب المغربي الأبي ومع جلالتكم ونقدم لكم الاحترام العميق وعواطف الولاء" [40]، وأصدرت لجنة الإفتاء فتوى ببطلان إمامة محمد بن عرفة و لزوم استمرار طاعة السلطان محمد بن يوسف[41] وأرسل الشيخان الإبراهيمي والورتلاني عبر مكتب القاهرة رسالة دعم للسلطان محمد الخامس بمنفاه قائلا: جلالة الملك مولاي محمد بن يوسف حياكم الله ونصركم وثبت أقدامكم على الحق، المسلمون كلهم معكم بأرواحهم وعقولهم في موقفكم الشريف أمام الاستعمار الباغي وأساليبه المفضوحة فاثبتوا ينصركم الله..."[42].

وبعد الضغوطات تراجعت فرنسا عن قرارها وتم إرجاع الملك محمد الخامس إلى عرشه في 16 نوفمبر 1955،وأوفدت جمعية العلماء وفدا للمغرب لتهنئة السلطان وشعبه،[43]ولم تتخلف كذلك عن إرسال برقية تهنئة إلى المغرب سلطانا وشعبا بمناسبة استقلاله عن فرنسا.[44]

خاتمة

حاولنا من خلال المقال الوقوف على أبرز القضايا في فكر رجال الإصلاح وهي قضية الاتحاد والوحدة، وهذا من خلال قراءة لأبرز مقالاتهم الصحفية، ومن خلال الوقوف على بعض أنشطتهم السياسية والثقافية التي أخذت أبعاد ذات طابع وحدوي، و هذا كله

يدل على بعد النظر عند هذه النخبة التي علمت يقينا أن مطلب الاستقلال أو الإدماج والمساواة أو الإصلاح لا تكون مادامت الأمة تعاني حالة تشتت.

إن تأسيس جمعية تضم في صفوفها كل من له نوايا إصلاحية حتى ولو اختلف مع علمائها في العقيدة أوفي المشرب السياسي، إنما هو دليل على يقظة هذه الفئة بضرورة الاتحاد لإصلاح الأمة، بل إننا نعتبر أن الهدف الأول واللبنة الأساسية التي ركز عليها رجال الإصلاح قبل تحقيق الأهداف الأخرى هو توحيد الأمة شيوخا وشبانا، ساسة ورجال دين، طرقيين وإصلاحيين.

نجد جمعية العلماء المسلمين ورغم اختلاف مذهبها السياسي مع الأحزاب الأخرى اتبعت نفس المسار الذي رسمه النواب واللبراليون ودعاة الاستقلال والشيوعيون في المؤتمر الإسلامي لا لشيء إلا محاولة منها لم الشمل وتوحيد الحركة الوطنية، وعلى نفس النسق ساروا في مختلف المناسبات، فيتجدد مطلبهم الوحدوي من خلال حركة أصحاب البيان ومن خلال جبهة الدفاع عن الحرية واحترامها ومن خلال الخطب والمقالات ...الخ.

الهوامش

[1] الحبيب بن الحاج محمد، **الاتحاد** ،البصائر، ع89، 3ديسمبر 1937، ص:5.

[2] محبوب محمد بلقاسم، **سعادة الأمة في تعاون الأفراد وتوحيد الجهود**، البصائر، ع62، 9أفريل 1937، ص:6.

[3] أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط1، 1997، ص:32.

[4] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر القافي1830-1954، ج6، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط1، 1998، ص:304.

[5] عبد الحميد بن باديس، **ماجمعته يد الله لا تفرقه يد الشيطان**، الشهاب،ج11، م11،فيفري1936، ص605.

[6] عبد الحميد بن باديس، **كيف صارت الجزائر عربية**، الشهاب، م13، ج12، فيفري 1938، ص ص 510-511.

[7] البشير الإبراهيمي، **موجة جديدة**، البصائر، ع42، 5جويلية 1948، ص1.

[8] إبراهيم أبو حميدة، **مكر استعماري جديد**، البصائر، ع59، 6ديسمبر 1948، ص6.

[9] أبو قاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 325.

[10] محمد خير الدين، مذكرات الشيخ محمد خير الدين، ج1، مطبعة دحلب، الجزائر ، 1985، ص: ص:327- 328.

[11] عبد الحميد بن باديس، آثار بن باديس،ج1، إعداد وتصنيف: عمار الطالبي، الشركة الجزائرية، الجزائر، ط3، 1997، ص:88.

[12] محمد خير الدين، نفسه، ص: 330.

[13] البشير الإبراهيمي، " **لا يبني مستقبل الأمة إلا الأمة** ، جريدة البصائر،ع23، 13جوان 1936، ص:1.

[14] محمد البشير الإبراهيمي،**لا يبني مستقبل الأمة إلا الأمة** ، جريدة البصائر،ع24 ،19جوان 1936، ص- ص:1-3.

[15] محمد خير الدين، المرجع السابق، ص:335.

[16] محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتق: أحمد طالب الإبراهيمي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط1، 1997، ص:292.

[17] نفيسة دويدة، **ائتلاف حركة أحباب البيان والحرية:النشاط والآمال(1943-1945)**، مجلة قضايا تاريخية الصادرة عن جامعة بوزريعة، الجزائر،ع6، ج2، 2007، ص، ص:143، 144.

[18] جاكر لحسن، الحركة الوطنية في معسكر 1930-1954، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة وهران ،(2008-2009)، ص:184.

[19] فرحات عباس، ليل الاستعمار، تر:أبوبكر رحال وعبد العزيز بوباكير، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2015، ص:105.

[20] إبراهيم مهديد، الدور الإصلاحي والنشاط السياسي للشيخ البشير الإبراهيمي، على نهج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فيما بين(1931-1944)، دار القدس العربي، وهران-الجزائر، 2015، ص:169.

[21] فرحات عباس، المرجع السابق،ص:105 .

[22] عبد الكريم بوصوف، جمعية العلماء المسلمين ودورها في تطور الحركة الوطنية،المرجع السابق، علم المعرفة، الجزائر، 2009، ص، ص:243، 244.

[23] فرحات عباس، المرجع السابق، ص:111.

[24] عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع 2013، المرجع السابق، ص:480.

[25] **"لجنة إنشائية لتأسيس لجنة للدفاع عن الحرية و احترامها"**، البصائر، ع166، 6أوت1951، ص- ص: 1-8.

[26] محمد بوشنافي، **الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحريات واحترامها من خلال جريدة المنار الجزائرية** ، مجلة عصور جديدة الصادرة عن جامعة أحمد بن بلة وهران، ع21-22، ماي2016، ص312.

[27] – جيلالي بولوفة عبد القادر، حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في عمالة وهران،الخروج من النفق،من اكتشاف المنظمة الخاصة إلى اندلاع الثورة التحريرية الجزائرية(1950-1954)،أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر بسنة 2008،جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان،ص- ص:185-188.

[28] مجموعة مؤلفين، وحدة المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، ط1، 1987، ص:17.

[29] نفسه، ص :18.

[30] تأسست جمعية طلبة شمال إفريقيا في باريس عام 1928، وعقدت عدة مؤتمرات اعتادت أن تجعلها سنوية، كانت تهتم الجمعية بالتعليم وتوحيد المناهج بالمغرب العربي وقضايا المرأة وقد تقرر عقد المؤتمر الخامس بتلمسان ما بين 06 إلى 15 سبمتبر 1935، ينظر: مهديد إبراهيم ، الدور الإصلاحي والنشاط السياسي للشيخ محمد البشير الإبراهيمي على نهج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فيما بين(1931-1944)، دار القدس العربي، وهران-الجزائر،2015، ص: 63.

[31] مهديد إبراهيم، المرجع السابق، ص:66.

[32] أبو القاسم سعد الله، الحركة الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط4، 1992، ص: 112.

[33] مجموعة مؤلفين، وحدة المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، المرجع السابق، ص:19.

[34] كمال رمضاني، **تفاعل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مع قضايا بلاد المغرب العربي خلال الفترة اللاستعمارية**، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، م7، ع1، 23 ماي 2019، ص ص:22-24.

[35] أبي محمد، **منبر السياسة العالمية**، البصائر، ع182، 01 فيفري 1952، ص:04

[36] **اليوم الجزائري العظيم لإعلان التضامن والوئام مع الشقيقة العزيزة تونس المجاهدة**، البصائر ، ع182، 01 فيفري 1952، ص:1.

[37] **الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية، حوادث القطر التونسي الشقيق**، البصائر، ع182، 01فيفري 1952، ص:6.

[38] حميدي أبو بكر الصديق، قضايا المغرب العربي في اهتمامات الحركة الإصلاحية الجزائرية 1930-1954، دار الهدى، الجزائر،2015، ص ص 91-92.

[39] **الأيام الخالدة في تاريخ المغرب الحديث**، الشهاب، م12، ج11، ص:480.

[40] أحمد توفيق المدني، **برقيتا احتجاج جمعية العلماء على خلع جلالة سيدي محمد بن يوسف**،البصائر، ع239، 4 سبتمبر 1953، ص:8.

[41] محمد خير الدين، **بلاغ من جمعية العلماء المسلمين**، البصائر، ع239، 4سبتمبر 1953، ص:1.

[42] محمد البشير الإبراهيمي، الفضيل الورتلاني، **برقيات احتجاج من القاهرة**، البصائر، ع240، 11سبتمبر 1953، ص3.

[43] جمعية العلماء المسلمين، **شكر وولاء وتقدير**، البصائر، ع243، 2ديسمبر 1955، ص:1.

[44] كمال رمضاني، المرجع السابق، ص:33.

قائمة المراجع:

- **أولا:المؤلفات:**

-إبراهيم مهديد، الدور الإصلاحي والنشاط السياسي للشيخ البشير الإبراهيمي، على نهج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فيما بين(1931-1944)، (وهران-الجزائر، دار القدس العربي، 2015).

-أبو القاسم سعد الله، الحركة الحركة الوطنية الجزائرية، (بيروت- لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1992)، ط4، ج3.

-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر القافي1830-1954، (بيروت-لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1998)، ط1، ج6.
-حميدي أبو بكر الصديق، قضايا المغرب العربي في اهتمامات الحركة الإصلاحية الجزائرية 1930-1954، (الجزائر، دار الهدى، 2015).
-عبد الحميد بن باديس، آثار بن باديس، (الجزائر، الشركة الجزائرية، 1997)، إعداد وتصنيف: عمار الطالبي، ط3، ج1.
-عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى، (الجزائر، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع 2013).
-عبد الكريم بوصوف، جمعية العلماء المسلمين ودورها في تطور الحركة الوطنية، (الجزائر، علم المعرفة، 2009).
-فرحات عباس، ليل الاستعمار، (الجزائر، دار القصبة للنشر، 2015)، تر:أبوبكر رحال وعبد العزيز بوباكير.
-مجموعة مؤلفين، وحدة المغرب العربي، (بيروت-لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، 1987)، ط1.
-محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، (بيروت – لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1997) جمع وتق: أحمد طالب الإبراهيمي، ط1، ج1،ج2.
-محمد خير الدين، مذكرات الشيخ محمد خير الدين، (الجزائر، مطبعة دحلب، 1985)،ج1.

- **ثانيا: الجرائد والمجلات**

1- جريدة البصائر:

- جمعية العلماء المسلمين "لجنة إنشائية لتأسيس لجنة للدفاع عن الحرية و احترامها"، البصائر، ع166، 6أوت1951.

– جمعية العلماء المسلمين الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية، حوادث القطر التونسي الشقيق، البصائر، ع182، 01فيفري 1952.
– جمعية العلماء المسلمين اليوم الجزائري العظيم لإعلان التضامن والوئام مع الشقيقة العزيزة تونس المجاهدة، البصائر، ع182، 01 فيفري 1952.
–إبراهيم أبو حميدة، مكر استعماري جديد، البصائر، ع59، 6ديسمبر 1948.
–أبي محمد، منبر السياسة العالمية، البصائر، ع182، 01 فيفري 1952.
–أحمد توفيق المدني، برقيتا احتجاج جمعية العلماء على خلع جلالة سيدي محمد بن يوسف،البصائر، ع239، 4 سبتمبر 1953.
–البشير الإبراهيمي، " لا يبني مستقبل الأمة إلا الأمة ، جريدة البصائر، ع23، 13جوان 1936.
–البشير الإبراهيمي، موجة جديدة، البصائر، ع42، 5جويلية 1948.
–الحبيب بن الحاج محمد، الاتحاد ،البصائر، ع89، 3ديسمبر 1937.
–جمعية العلماء المسلمين، شكر وولاء وتقدير، البصائر، ع243، 2ديسمبر 1955.
–محبوب محمد بلقاسم، سعادة الأمة في تعاون الأفراد وتوحيد الجهود، البصائر، ع62، 9أفريل 1937.
–محمد البشير الإبراهيمي، الفضيل الورتلاني، برقيات احتجاج من القاهرة، البصائر، ع240، 11سبتمبر 1953.
–محمد البشير الإبراهيمي،لا يبني مستقبل الأمة إلا الأمة ، جريدة البصائر،ع24 ،19جوان 1936.
–محمد خير الدين، بلاغ من جمعية العلماء المسلمين، البصائر، ع239، 4سبتمبر 1953.
2– مجلة الشهاب:
– جمعية العلماء المسلمين الأيام الخالدة في تاريخ المغرب الحديث، الشهاب، م12، ج11.

-عبد الحميد بن باديس، كيف صارت الجزائر عربية، الشهاب، م13، ج12، فيفري 1938.

-عبد الحميد بن باديس، ماجمعته يد الله لا تفرقه يد الشيطان، الشهاب، م11، ج11،فيفري1936.

- **ثالثا الأطروحات والرسائل الجامعية:**

-جاكر لحسن، الحركة الوطنية في معسكر 1930-1954، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة وهران ،(2008-2009).

-جيلالي بولوفة عبد القادر، حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في عمالة وهران،الخروج من النفق،من اكتشاف المنظمة الخاصة إلى اندلا ع الثورة التحريرية الجزائرية(1950-1954)،أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر بسنة 2008، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان.

- **رابعا:المقالات الأكاديمية**

-كمال رمضاني، تفاعل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مع قضايا بلاد المغرب العربي خلال الفترة اللاستعمارية، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، م7، ع1، 23 ماي 2019.

-محمد بوشنافي، الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحريات واحترامها من خلال جريدة المنار الجزائرية ، مجلة عصور جديدة الصادرة عن جامعة أحمد بن بلة وهران، ع21-22، ماي2016.

-نفيسة دويدة، ائتلاف حركة أحباب البيان والحرية:النشاط والآمال(1943-1945)، مجلة قضايا تاريخية الصادرة عن جامعة بوزريعة، الجزائر، ع6، ج2، 2007.